Journal Of the Iraqia University (69-2) October (2024)



ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
IRAQI Academic Scientific Journals

علم الكلام عند الإمامية في القرن السادس الهجري

م. تحسين قاسم عكار

المديرية العامة للتربية في بغداد/ الرصافة الثالثة

Theology at the Imamis in the sixth century AH

Tahseen Qasim Akar
tuhseenqasem@gmail.com

الملخص:

يمثل القرن السادس الهجري الحلقة الوسطى بين عصرين مختلفين في علم الكلام عند الإمامية وذلك لأن متكلمي القرن الرابع والخامس اتخذوا منهجاً كلامياً يقوم على دليل الحدوث في إثبات الصانع، وكان فيه الفلاسفة خصوماً لهم، وفي القرن السابع اتخذوا منهجاً مختلفاً كل الاختلاف عن ذلك المنهج السابق، وكان الفلاسفة هم أنفسهم علماء الكلام الكلمات المفتاحية: الإمامية، علم الكلام، قطب الدين الراوندي، الكيدري، سديد الدين الحمصي

Abstract:

The sixth century AH represents the middle link between two different eras in the science of theology among the Imamis, because the theologians of the fourth and fifth centuries adopted a theological approach based on the evidence of occurrence in proving the Creator, and the philosophers were their opponents in it. In the seventh century, they adopted an approach that was completely different from that previous approach, and the philosophers were themselves the theologians.Keywords: al- Imamate , theology, Qutb al-Din al-rawandi , Al-kidri,Sadid al-Din al-Homsi

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وبعد: فلا شك أن بدء عصر الغيبة الكبرى بموت السفير الرابع علي بن محمد السمري(٣٢٩هـ) كان إيذاناً في الشروع بمنهج جديد على الإمامية لم تكن قد واجهته من قبل تمثل برجوع الناس إلى أحد الفقهاء المنتشرين في أصقاع الأرض، وعلى الرغم من الجهود الجليلة التي بذلها علماء ذلك العصر، ولكن ما واجهته الإمامية من صدمة كبرى على الصعيد الفكري والعقدي، أدت إلى تزلزل للعقيدة لدى الناس بسبب هذا الحدث الجلل، إذ تحدثت كتب التاريخ عن خروج أناس كثيرين من المذهب إما بسبب الإشكالات والشبه العلمية التي أثارها المخالفين، وإما بسبب عدم نفوذ العقائد إلى قلوب الناس، وسرعان ما تنبه علماء الإمامية لهذا الخطر الداهم، فبذلوا أعمارهم من أجل تنقية المذهب والدفاع عنه ، والرد على الشبهات التي كانت تواجهه، ولما كانت بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية، قبلة العلماء في ذلك العصر نظراً لوجود الانفتاح الفكري فيها وخاصة مع دخول البويهيون إليها، إذ سعوا إلى السماح للعلماء بنشر أفكارهم من دون فرض أي قيود عليها، وفي هذا الجو نشأة مدرسة بغداد الكلامية، والتي أسسها ببغداد شيخ الشيعة الشيخ محمد بن محمد بن النعمان الشهير بـ(ابن المعلم) و(الشيخ المفيد) ، الذي استطاع من إيجاد منهج كلامي للتوفيق بين المنهج العقلي والمنهج النقلي يقوم على (أن العقل محتاج في علمه ونتائجه إلى السمع) (الشيخ المفيد، ٢٠٠٩: ٤٤) ، أي أن العقل بمفرده لا يستقل بإدراك العقائد بل يحتاج إلى السمع، وفيه إيذاناً برفض وعدم قبول المنهج الكلامي والفلسفي القائم على العقل في إدراك المعتقدات، واستطاعت هذه المدرسة من قيادة الفكر الإمامي خلال مدة قصيرة من الزمن من ظهورها، بل عُدت الممثل الشرعي والرسمي للإمامية، فقد قامت بأعمال جليلة في تمثلت في محاولة منع دخول أفكار الفرق الكلامية الأخرى كالمعتزلة إلى اعتقادات الإمامية ، ومواجهة النزعة العقلية لدى فلاسفة الشيعة ، وتهذيب المسلك النقلي لدى الإمامية، والذي كانت مدرسة قم تمثل الواجهة الرسمية له؛ لذلك نجد أن الشيخ المفيد قام بتصنيف الكتب لهذه الغايات، وتبعه في ذلك تلامذته النابهين، ولكن بنسب متفاوتة ، وقد حظيت آراء الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ) باهتمام ومتابعة

العلماء ممن جاء بعدها، إذ أصبحت آراؤه الكلامية هي المحور الذي تدور حوله عجلة البحث الكلامي نقضاً وإبراماً عند الإمامية ، وأصبحت أكثر آراؤه تمثل الرأي الأبرز عند الإمامية ، بل ولا يخالفونه إلا نادراً ، وكانت هذه المدرسة كما هو حال باقي الفرق الكلامية تعد دليل الحدوث، وهو الدليل الذي يستدل بحدوث الأشياء على وجود محدث لها، وهو الله سبحانه وتعالى، أي أن علة احتياج الممكن إلى العلة هو الحدوث، ويعتمد قياس الشاهد على الغائب، فالغيبيات يستدل عليها عن طريق المحسوسات والمشاهدات، واستمر هذا الحال حتى ظهر الشيخ المحقق نصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ)، والذي يعد أحد أكابر الفلاسفة والمتكلمين، إن لم يكن أكبرهم على الإطلاق، الذي استطاع أن يُحدث نقلة نوعية وتغيير شامل في بنية علم الكلامي تمثلت في إحداث تقارب فكري بين علم الكلام والفلسفة، إذ رفض دليل الحدوث، وهو الدليل الذي قامت عليه الأبحاث الكلامية السابقة، واعتمد على دليل الإمكان القائم على أن علة احتياج الممكن للعلة هو الإمكان، وهو الدليل الذي اعتمده الفلاسفة في استدلالاتهم الفلسفية، وقد تبعه في اتخاذ هذا المنهج أغلب العلماء الذين جاءوا بعده. وعلى الرغم من أن علم الكلام لدى الإمامية امتاز بالإبداع والتجدد المستمر على مستوى الآراء والنظريات، كما امتاز بالانفتاح على مختلف الاتجاهات الفكرية المنتشرة في العالم الإسلامي نقضاً وإبراماً منذ نشأته إلى فترات متأخرة من زمننا الحاضر إذ اقتصر على بعض موضوعات الخلاف المذهبي، أو رداً على رأي شاذ من داخل المذهب؛ لأسباب عدة لعل من أبرزها: الاهتمام الكبير بعلمي الفقه وأصول الفقه على حساب باقي العلوم الأُخرى في أغلب الحوزات العلمية، واستمرار السيطرة المطلقة على مستوى التدريس في الحوزات العلمية لكتاب (تجريد الاعتقاد) للمحقق الشيخ نصير الدين الطوسي(٦٧٢هـ)، والذي شرحه تلميذه العلامة الحلي(ت٧٢٦هـ) في كتاب (كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد)، فعلى الرغم من قيمة الكتاب وأهميته، وعظمة مؤلفه وشارحه، ولكن هذا لا يمنع من إجراء تطوير وتجديد في المنهج الكلامي، وقد تفطن كثير من العلماء إلى هذه الحقيقة، ولكن جميع المحاولات لم تحقق ما كان مأمولاً منها، أو كانت دون المستوى المطلوب لطلاب العلوم الإسلامية، إذ أن أغلب المؤلفات التي صنفت لا تصل في أعلى مراتبها، إلى مستوى أسهل شرح من شروح كتاب التجريد نعم كانت ولا تزال تدور هناك معركة بين التجديد والجمود، وربما يغلب هذا الطرف أو ذاك في مرحلة زمنية معينة، فعلى مر الزمن ظهرت هناك شخصيات علمية تميزت بطابع التجدد المستمر في الأفكار والنظريات ومن أجل توضيح أهمية الآراء الكلامية في إحداث التغييرات الفكرية، وتبيين الجهود العلمية التي بذلها علماء الإمامية في تحقيق المطالب العلمية في هذا العلم خلال القرن السادس الهجري، وبيان أبرز الأعلام هذا القرن، مع بيان أبرز آرائهم الكلامية من خلال ما توفر لدينا من مؤلفاتهم، لنرى هل كانت لآراء المتقدمين أية تأثير على المحقق نصير الدين الطوسي عليه في احداث هذا التغيير الكبير في بنية على الكلام الإمامي؟ وهل كانت الآراء التي طرحها معروفة لدى السابقين عليه، ولماذا رفض منهج المتكلمين القديم؟ارتأيت دراسة الجهود العلمية لعلماء الكلام في القرن السادس من أجل الوصول إلى معرفة الأسباب التي أدت إلى حدوث هذا النقلة في علم الكلام عند الإمامية.وقد سلكت في هذا البحث عدة مناهج منها كالمنهج التحليلي في تحليل بعض الآراء الكلامية والمنهج المقارن إذ قارنت بين الآراء الكلامية لأعلام المدارس الكلامية في القرن السادس الهجري بآراء أعلام الإمامية السابقين مع إيضاح الفوارق المترتبة عليها، والمنهج الاستقرائي في تتبع آراء أبرز متكلمي الإمامية في المدارس الكلامية التي كانت منتشرة في القرن السادس الهجري، وأشاروا إليها في كتبهم واشتمل البحث على مقدمة تحدثت فيه عن تاريخ علم الكلام عند الإمامية، مع ذكر أبرز مجددي علم الكلام، وستة مطالب الأول تحدثت فيه عن الشيخ أبي جعفر النيسابوري، وأبرز آرائه الكلامية، والثاني عن الشيخ قطب الدين الراوندي وأبرز آرائه الكلامية، والثالث عن الشيخ سديد الدين الحمصي، وأهم آراؤه الكلامية، والرابع عن السيد ابن زهرة الحلبي وآراؤه الكلامية والخامس عن الشيخ قطب الدين الكيدري، وأبرز آراؤه الكلامية، والسادس عن دليل الحدوث، ودعوى أن دليل الحدوث يتوقف على دليل الإمكان في إثبات النتائج وصدقها ، ثم تلتها الخاتمة وأهم النتائج التي توصل إليها الباحث

المطلب الأول: أبو جعفر النيسابوري

هو شيخ الحكماء أبو جعفر قطب الدين محمد بن علي بن الحسن المقرئ النيسابوري، ثقة عين، كان أئمة الأدب، ومن القراء المجودين أخذ عنه جماعة من الطلبة وانتفعوا به (ابن الفوطي، ١٤١٥هـ: ٤٢٧/٢)**شيوخه ومن روى عنهم:** أخذ العلم عن ثلة من علماء عصره أبرزهم:

١. الشيخ أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي(ت+٥١٥هـ)، وهو نجل شيخ الطائفة أبي الحسن محمد بن الحسن الطوسي، كان وجهاً من وجوه الإمامية، كان عالماً فاضلاً فقيهاً محدثاً ثقة يروي عن أبيه وكثير من فضلاء عصره، له (الأمالي) و (شرح النهاية) (الحر العاملي، ١٩٨٣: ٢/ ٧٦ ومنتجب الدين، ١٤٠٤هـ: ٧٦)

٢. الشيخ الزاهد أبو بكر الحسن بن يعقوب بن أحمد النيسابوري(ت٥١٧هـ): سمع عن أبيه وغيره من الشيوخ، روى عنه علي بن زيد البيهقي صاحب كتاب (معارج نهج البلاغة)، والذي قال عنه:(وهو وأبوه في فلك الأدب قمران، وفي حدائق الورع ثمران) (البيهقي، ١٤٢٢هـ: ٩٥/١) توفي في محرم سنة ٥١٧هـ، ودفن بالحيرة (الصريفيني،١٩٨٩: ١٩٥

تلامذته ومن روى عنه: أخذ عن أبي جعفر المقرئ النيسابوري كثير من طلبة العلوم أصبحوا لاحقاً من كبار علماء الإمامية لعل من أبرزهم:

١. الشيخ أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي الشهير بقطب الدين الراوندي(ت٥٧٣هـ): سيأتي عنه الحديث مفصلاً في المطلب الثاني

٢. السيد ضياء الدين أبو الفضل فضل الله بن علي الحسني الراوندي القاشاني الشهير بـ (فضل الله الراوندي) علامة أهل زمانه، جمع مع علو النسب كمال الفضل والحسب، روى عن الشيخ أبي علي الطوسي، له مصنفات كثيرة منها: ضوء الشهاب في شرح الشهاب) و(الكافي في التفسير) و(النوادر) (الحر العاملي، ١٩٨٣: ٢١٧/٢**كتبه:** ألف الشيخ أبي جعفر النيسابوري مصنفات كثيرة ذكر بعضها العلماء (الحر العاملي،١٩٨٣: ٣٥١/٢ ومنتجب الدين،١٤٠٤هـ: ١٥٧):

١. البداية في النحو

٢. الحدود (مطبوع)

٣. المجالس (مفقود)

٤. الموجز (مفقود)

٥. التعليق (مطبوع)

٦. شرح التعليق، اشار إليه في كتاب التعليق **آراؤه الكلامية:** ولابد من الإشارة إلى أهم آراؤه الكلامية

١. استند على دليل الحدوث في إثبات حدوث الأجسام، واحتياجها إلى وجود محدِث، وهو الله سبحانه وتعالى، ويقوم هذا الدليل على إثبات حدوث الأجسام الذي يبتني على أربع دعاوى، وهي الأولى: أن في جسم أكوان (*)، والثانية: أن الأكوان محدَثة، والثالثة: أن الجسم لا يخلو من أكوان، والرابعة: ما لا يخلو من المحدَث فهو محدث (أبو جعفر النيسابوري، ١٤٣٢هـ: ٥)، وهذا الرأي موافق لرأي متقدمي علماء الإمامية (السيد المرتضى، ١٤٣٠هـ: ٢٩)

٢. للحق سبحانه صفات جمالية هي (القدرة والعلم والحياة والوجود والقدم والإدراك والسمع والبصر)، ويستحق هذه الصفات لوجود صفة زائدة له على هذه الأوصاف يخالف بها سائر الموجودات (قطب الدين النيسابوري، ١٤١٤هـ: ٢٨)، وهذا ما ذهب إليه السيد المرتضى (الشريف المرتضى، ١٣٨١ش: ١٢٠/١)

٣. ينزه الباري (عز وجل) عن أوصاف الأجسام والأعراض كالرؤية والحلول؛ لأنه غني وغير محتاج (أبو جعفر النيسابوري، ١٤٣٢هـ: ٥١)، وهذا هو رأي علماء الإمامية، ومنهم السيد المرتضى (الشريف المرتضى، ١٣٨١ش: ٩٥/٢)

٤. إن الله تعالى لا يفعل شيئاً من القبائح، ولا يريدها (أبو جعفر النيسابوري، ١٤٣٢هـ: ٨٥) ، وهذا ما ذهبت إليه الإمامية، ومنهم السيد المرتضى (الشريف المرتضى، ١٣٨١ش: ٣٣٧/٣)

٥. دوام الثواب والعقاب وانقطاعه لا يُعلم إلا عن طريق السمع (أبو جعفر النيسابوري، ١٤٣٢هـ: ١٤٧)، وهذا ما ذهب إلية عدة من علماء الإمامية، ومنهم السيد المرتضى (الشريف المرتضى، ١٤٣١هـ: ٢٩٩)

٦. أجمعت الأمة على ثبوت الشفاعة، وهي لإسقاط المضار لا لزيادة المنافع (أبو جعفر النيسابوري، ١٤٣٢هـ: ١٥٤)، وهو ما ذهب إليه كثير من علماء الإمامية، ومنهم السيد المرتضى (الشريف المرتضى، ١٤٣٠هـ: ١٥٦)

٧. الأنبياء معصومون من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها قبل النبوة وبعدها (أبو جعفر النيسابوري، ١٤٣٢هـ:١٧٢)، وهو ما أجمع عليه علماء الإمامية (الشريف المرتضى، ١٤٤١هـ: ١٧٣)

٨. وجه إعجاز القرآن هو الصرفة (أبو جعفر النيسابوري، ١٤٣٢هـ: ١٨١) كما ذهب إليه ثلة من علماء الإمامية، ومنهم السيد المرتضى (الشريف المرتضى، ١٤٤١هـ: ١٧٧)

٩. إن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة للرسول محمد (صلى الله عليه وآله)، وهو المبلغ المنزل بلا زيادة ولا نقصان (أبو جعفر النيسابوري، ١٤٣٢هـ:١٧٨)، وهو ما ذهب إليه أكثر علماء الإمامية، ومنهم السيد المرتضى (الشريف المرتضى، ١٤٤١هـ: ٢٠٥)

١٠. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دليله السمع دون العقل (أبو جعفر النيسابوري، ١٤٣٢هـ: ١٦٠)، وهذا ما مال إليه كثير من علماء الإمامية، ومنهم السيد المرتضى (الشريف المرتضى، ١٤٣١هـ: ١٦٤)ومن خلال هذه الآراء الكلامية يتضح أن الشيخ محمد بن الحسن المقرئ النيسابوري كان وموافقاً لآراء السيد المرتضى إلا في موارد نادرة جداً (أبو جعفر النيسابوري، ١٤٣٢هـ: ١٥٩)، وغالباً ما يستدل برأي السيد المرتضى وكتبه في حين لا يذكر غيره من الأعلام إلا لإنكار أقوالهم أو تضعيفها

المطلب الثاني: قطب الدين الراوندي(ت٥٧٣هـ)

هو الشيخ أبو الحسين سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي، فقيه الشيعة في عصره، ومن أكابر فقهاء الإمامية وفطاحل العلماء، كان والده وجده من العلماء، وكان فقيهاً صالحاً ثقة، وفاضلاً في جميع العلوم والمعارف الإسلامية كالفقه والأصول والكلام والتفسير والأدب (ابن الفوطي، ١٤١٦هـ: ٣٧٩/٣)، توفي ودفن في قم المقدسة، ولازال قبره موجوداً في الصحن الكبير لمزار السيدة فاطمة المعصومة (عليها السلام)**شيوخه ومن روى عنهم:** أخذ قطب الدين الراوندي العلم عن عدة من مشايخ عصره، أبرزهم:

١. الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن المحسن الحلبي، فقيه صالح، أدرك شيخ الطائفة الطوسي، وروى عن أبي الفتح الكراجكي، وروى عنه قطب الدين والسيد ضياء الدين الراونديان (ابن الفوطي، ١٤١٦هـ: ٣٧٩/٣)

٢. قطب الدين أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن المقرئ النيسابوري، سبقت ترجمته

٣. الشيخ أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي(ت٥٤٨هـ) ثقة جليل القدر ومفسر بارع، أخذ عنه منتجب الدين بن بابويه وابن شهرآشوب، له مصنفات كثير منها: تفسير مجمع البيان في علوم القرآن، والذي يعد من أشهر تفاسير الشيعة و(جوامع الجامع) و(إعلام الورى بأعلام الهدى) (الحر العاملي، ١٩٨٣: ٢١٦/٢)

٤. الشيخ عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري الآملي الكجي، فقيه ثقة، قرأ على الشيخ أبي علي الطوسي، له عدة كتب منها: (بشارة المصطفى لشيعة المرتضى) و(الزهد) و(التقوى) و(شرح مسائل الذريعة) (منتجب الدين،١٤٠٤هـ: ٢٣٤)

٥. الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد الحسني الشهير بـ(ابن الشجري) أديب فاضل ومحدث صالح ثقة (الحر العاملي، ١٩٨٣: ٣٤٠/٢)، روى عن عدة من الأدباء كالطغرائي الشاعر، وروى عنه أبو البركات ابن الأنباري وأبو العباس معين الدين التوماني(ابن الفوطي، ١٤١٦هـ: ٤٣٩/٣ و١٧٥/٤ و٣٧٤/٥)، له كتاب(الأمالي)

تلامذته ومن روى عنه: أخذ العلم عن الشيخ قطب الدين الراوندي تلامذة كثر لعل من أبرزهم:

١. ولده نصير الدين أبو عبد الله الحسين بن محمد بن هبة الله الراوندي، عالم صالح شهيد (منتجب الدين، ١٤٠٤هـ: ٥٦)

٢. ولده الشيخ ظهير الدين أبو الفضل محمد بن سعيد بن هبة الله الراوندي، فقيه ثقة عدل عين روى عن أبيه كتب أصحابنا (الحر العاملي، ١٩٨٣: ٢٧٤/٢)، له كتاب (عجالة المعرفة في أصول الدين)

٣. ولده أبو الفرج عماد الدين علي بن سعيد بن هبة الله الراوندي، كان فقيهاً ثقة، يروى عن أبيه وغيره من الأعاظم (منتجب الدين، ١٤٠٤هـ: ١٢٧)

٤. الحافظ رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني (ت٥٨٨هـ): صاحب (معالم العلماء) و(مناقب آل أبي طالب)

٥. الشيخ منتجب الدين ابن بابويه علي بن عبيد الله الرازي(ت+٥٨٨هـ): صاحب كتاب (فهرست أسماء علماء الشيعة ومصنفيهم)**كتبه:** للشيخ قطب الدين الراوندي كتب كثيرة في علوم متنوعة لعل أبرزها:

١. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة

٢. الخرائج والجرائح

٣. فقه القرآن

٤. قصص الأنبياء

٥. ضياء الشهاب في شرح الأخبار

٦. سلوة الحزين (الدعوات)

٧. لب اللباب

آراؤه الكلامية: ألف الشيخ قطب الدين الراوندي كتباً كلامية كما حفلت مصنفاته بالكثير من الآراء الكلامية، وفيما يلي استعراض لأهم آراؤه الكلامية:

١. إن العقل لا يتنافى مع النقل (الراوندي ٢٠١٠: ٢٧٦)، وأن التواتر يورث العلم (الراوندي ٢٠١٠: ٢٧٦)

٢. الاستدلال بدليل الحدوث القائم على حدوث الموجودات في إثبات الصانع (الراوندي، ١٤٠٦هـ)، وهذا الدليل هو الدليل الشائع لدى المتكلمين لغاية القرن السابع

٣. أشار الشيخ قطب الدين الراوندي إلى أقوال الأمامية حول كيفية استحقاق الحق سبحانه لصفاته الذاتية، ولم يرجح أياً من تلك الأقوال (الراوندي، ١٤٠٦هـ: ٣٦/٢ و٤٥)، وربما يظهر منه الميل إلى أنه ليس لمثل صفته موصوف آخر (الراوندي، ١٤٠٦هـ:٤٩٠/٢)، وهو ما ذهب إليه السيد المرتضى وجماعة من علماء الإمامية (الشريف المرتضى، ١٤٣٠هـ: ٦٩)

٤. من صفاته سبحانه القدرة، والقادر هو من يصح أن يفعل، وألا يفعل، ومن صفاته العلم، وهو عالم بجميع ما كان، وما هو كائن، وما سيكون (الراوندي، ١٤٠٦هـ: ٣٥/١ و٢٢٠/٢)، وفي القولين رد على الفلاسفة

٥. صفة الإدراك ترجع لصفة الحياة، وهي ليس بمعنى (الراوندي، ١٤٠٦هـ: ٣٧٩/١)، وهذا القول ذهب إليه كثير من علماء الإمامية، ومنهم السيد المرتضى (الشريف المرتضى، ١٤٣٠هـ: ٥٣)

٦. إن الأنبياء معصومون من الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها، سواء قبل البعثة أم بعدها (الراوندي، ١٤٠٦هـ: ٨٢/١)، وهو قول كثير من علماء الإمامية، ونصره السيد المرتضى (الشريف المرتضى، ١٩٨٩: ٣٦)، وأن الأنبياء يعلمون جميع لغات الخلق وأصوات الحيوانات (الراوندي، ١٤٣١هـ: ٢٠٤/٢)، وفي هذا خلاف مع السيد المرتضى

٧. تبرئة أزواج الأنبياء (عليهم السلام) من الخيانة والفاحشة (الراوندي، ١٤٣١هـ: ١٧٥/٢)، وهو قول كثير من علماء الإمامية، ومنهم السيد المرتضى (الشريف المرتضى، ١٩٥٤: ٥٠٣/١)

٨. إن الأئمة (عليهم السلام) معصومون من مطلق الذنوب، وأن الإمام لا يُعزل، بل لا يقدر أحد أن يزيل المعصوم عن الإمامة (الراوندي، ١٤٣١هـ: ٢٣١/١)

٩. التوبة هي الندم على ما مضى، وعزم على ألا يعود إلى مثله؛ لقبحه، ولا تسقط العقاب عند مرتكب الذنب، بل نقول أن الله تعالى يسقط العقاب تفضلاً منه، وتقبل من الإنسان مالم تبلغ الروح الحلقوم (الراوندي، ٢٠١٠: ٧٠ و١٢٣ و٤٢٩)

١٠. الشفاعة هي لإسقاط عقاب العصاة، لا في زيادة المنافع (الراوندي، ٢٠١٠: ١٨١)، وهو قول كثير من علماء الإمامية، منهم السيد المرتضى (الشريف المرتضى، ١٤٣٠هـ: ١٥٦)

١١. الإيمان هو التصديق القلبي، ولا اعتبار بما يجري على اللسان، وهو موافق لقول السيد المرتضى (الروندي، ١٤٠٦هـ: ٤٧٢/١ و٤٤٣/٢)

والذي يظهر أن آراء الشيخ قطب الدين الراوندي الكلامية كان موافقاً غالباً لآراء السيد المرتضى، ومخالفة كثيراً لآراء الفلاسفة، وما خالف فيه السيد المرتضى من مسائل كقوله بأن وجه الإعجاز القرآني يكمن في الفصاحة (الراوندي، ١٤٠٩هـ: ٩٨٤/٣)، وليس الصرفة كما ذهب إليه السيد المرتضى، والغريب أن المحقق نصير الدين الطوسي لم يرجح أياً من الأقوال في هذه المسألة، بل قال إنها جميع الوجوه محتملة (الحلي، ١٤٢٥هـ: ٤٨٤)

المطلب الثالث: سديد الدين الحمصي(ت+٥٨٣هـ)

هو الشيخ سديد الدين محمود بن علي ين الحسن الحمصي الرازي، يعد من أبرز متكلمي القرن السادس الهجري، إذ كان زعيم متكلمي الإمامية في مدرسة الري، والتي تعد من أبرز المراكز العلمية في ذلك العصر، وبسبب شهرته الكبيرة طلب منه علماء الحلة البقاء فيها عند مروره بها، وبقي فيها للتدريس والإفادة مدة من الزمن ألف خلالها كتابه الشهير (المنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد)، والذي يُعد من أهم الكتب الكلامية لدى الإمامية خلال القرن السادس الهجري **شيوخه ومن روى عنهم:** أخذ الشيخ سديد الدين الحمصي العلم عن عدة من الشيوخ منهم:

١. الشيخ موفق الدين الحسين بن أبي الفتح الواعظ البكر آبادي الجرجاني، فقيه صالح ثقة أحد تلامذته الشيخ أبو علي الطوسي (ت٥١٥هـ) (الحر العاملي، ١٩٨٣: ١٠٠/٢)

٢. الشيخ برهان الدين أبو الحارث محمد بن أبي الخير علي بن أبي سليمان ظفر الحمداني القزويني نزيل الري، عالم صالح ومفسر وواعظ له كتاب (مفتاح التفسير) و(دلائل القرآن) (منتجب الدين، ١٤٠٤هـ: ١٦١)

تلامذته ومن روى عنه: تلقى الشيخ سديد الدين الحمصي العلم عن ثلة من أعلام عصره منهم:

١. الشيخ منتجب الدين علي بن عبيد الله بن بابويه الرازي صاحب (فهرست أسماء علماء الشيعة ومصنفيهم)

٢. الأمير الزاهد أبو الحسين ورام بن أبي فراس الحلي (ت ٦٠٥ هـ) صاحب كتاب (تنبيه الخاطر ونزهة الناظر)

٣. السيد علاء الدين أبو المظفر محمد بن علي بن محمد الحسني الخُجندي قرأ عليه كتابه المنقذ من التقليد، وأجازه في التاسع من شعبان ٥٨٣هـ

٤. الشيخ محمد بن محمد بن علي الحمداني القزويني، فقيه فاضل، روى عن الشيخ منتجب الدين بن بابويه، وروى عنه المحقق نصير الدين الطوسي(ت٦٧٢هـ) (منتجب الدين، ١٤٠٤هـ: ١٦١)

٥. الشيخ عماد الدين أبو الفرج علي بن قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي

٦. الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي(٦٠٤هـ) خطيب الري، وبعد أبرز متكلمي الأشاعرة في عصره

كتبه: ألف الشيخ سديد الدين الحمصي العديد من المصنفات:

١. المنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد، وهو أهم كتبه

٢. التعليق الصغير

٣. المصادر في أصول الفقه ذكره في كتابه المنقذ من التقليد (الحمصي، ١٤٣٥هـ: ٣١٠/٢ و٣٥٥)، ونقل منه معاصره ابن ادريس الحلي في كتابه السرائر (الحلي، ١٤٢٩هـ: ٤٤١/٥)، ونقل عنه بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ) ويظهر إنه كان لديه (الزركشي، ١٩٩٢: ٩/١)

٤. التبيين والتنقيح في التحسين والتقبيح (مفقود)

٥. نقض الموجز للنجيب ابن المكارم(مفقود)

٦. مسألة في الأعواض(مفقودة) ذكرها في كتابه المنقذ من التقليد (الحمصي،١٤٣٥هـ: ٣٣٠/١)

٧. بداية الهداية(مفقود)

آراؤه الكلامية: من أجل الاطلاع على مدى موافقة الآراء الكلامية لسديد الدين الحمصي لمتكلمي الإمامية السابقين لعصره، وتبيان مدى تأثيره في من جاء بعده، لابد من استعرض أهم آراؤه الكلامية:

١. استدل بدليل الحدوث على إثبات وجود المحدث (الحمصي، ١٤٣٥هـ: ١٩/١)، وهو موافق لرأي السيد المرتضى

٢. رفض الشيخ سديد الدين الحمصي رأي السيد المرتضى في ثبوت الأعيان المعدومة، والذي أجاز أن يكون المؤثر القادر العالم معدوماً (الشريف المرتضى، ١٤٣٠هـ: ٤٩)

٣. بطلان المعاني القديمة خلافاً لعدد من الفرق الإسلامية والثنوية والنصارى؛ لأنه يستلزم ثبوت قديم مع واجب الوجود (الحمصي، ١٤٣٥هـ: ١٣٩/١)

٤. وجه اعجاز القرآن الكريم هو الصرفة وفاقاً للسيد المرتضى وجماعة من العلماء (الحمصي،١٤٣٥هـ: ٤٦٠/١)

٥. ان الدليل على دوام الثواب ودوام العقاب هو السمع، وليس العقل وفاقاً لجمع من العلماء منهم السيد المرتضى (الحمصي، ١٤٣٥هـ: ٢٧/٢)

٦. التحابط باطل، والتوبة واجبة على العصاة، ولكنها لا تسقط العقاب، بل يسقط تفضلاً من الله تعالى (الحمصي، ١٤٣٥هـ: ٨٥/٢)

٧. الإيمان هو التصديق القلبي، ولا اعتبار بما يجري على اللسان وفاقاً لجماعة من الأعلام منهم السيد المرتضى (الحمصي، ١٤٣٥هـ: ١٦٢/٢)

٨. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الأعيان لعموم ظواهر الآيات والروايات خلافاً للسيد المرتضى الذي ذهب إلى أنها من فروض الكفايات (الحمصي، ١٤٣٥هـ: ٢٣٠/٢)بعد هذه الجولة السريعة في بيان أهم آراء الشيخ سديد الدين الحمصي تبين أن الشيخ يوافق السيد المرتضى في كثير من آراؤه ويخالفه في بعض المسائل، ولكن مما امتاز به الشيخ سديد الدين الحمصي هو أنه يُعد أول من أدخل آراء أبي الحسين البصري المعتزلة، وتلميذه وركن الدين ابن الملاحمي في الكتب الكلامية عند الإمامية، وإدخاله طرق القياس المنطقية في الاستدلالات الكلامية، هذا فضلاً عن منهجه النقدي للآراء الكلامية إذ تميز بحريته الفكرية وعدم اعتماده على شهرة الأقوال، وعظمة قائليها (عكار، ٢٠٢٤: ٥٦٥)

المطلب الرابع: ابن زهرة الحلبي(٥١١-٥٨٥هـ) :

هو السيد عز الدين أبو المكارم حمزة بن علي بن زهرة الحسيني الحلبي، عالم فاضل ثقة جليل القدر، توفي بحلب ودفن بسفح جبل جوشن عند مشهد السقط، ولا يزال قبره شخصاً إلى وقتنا الحاضر (العاملي، ١٩٨٣: ٦/٢٤٩)**شيوخه ومن يروي عنهم:** تلقى السيد ابن زهرة العلم عن عدة من العلماء:

١. والده السيد علي بن زهرة الحلبي

٢. جده السيد أبو المحاسن زهرة الحلبي

٣. الشيخ أبو منصور محمد بن الحسن بن منصور النقاش الموصلي

٤. الشيخ أبو عبد الله الحسين بن طاهر بن الحسين الصوري، فقيه جليل (الحر العاملي، ١٩٨٣: ٢/٩٣)

تلامذته ومن يروي عنه: أخذ عن ابن زهرة كثير من الأعلام:

١. الشيخ أبو الحسن سالم بن بدران المازني (ت ٦١٩هـ): الشهير بـ(معين الدين المصري)، أحد مشاهير علماء الإمامية وأجلاء الفقهاء ، تتلمذ على أكابر علماء عصره كالشيخ محمد بن إدريس الحلي وابن زهرة الحلبي، وأخذ عنه المحقق نصير الدين الطوسي ، وله منه إجازة ، وأبو حامد محي الدين محمد بن عبد الله بن زهرة الحلبي (الحر العاملي،١٩٨٣: ٢/٣٢٤)

٢. الشيخ الجليل شاذان بن جبرائيل القمي، كان عالماً فقيهاً فاضلاً عظيم الشأن جليل القدر له كتب منها: (الفضائل) و(إزاحة العلة في معرفة القبلة) روى عن الشيخ أبي طالب عبد القاهر بن حمويه القمي والقاضي علي بن عبد الجبار الطوسي، يروي عنه فخار بن معد الموسوي (الحر العاملي، ١٩٨٣: ٢/١٣٠)

٣. الشيخ محمد بن جعفر المشهدي، كان فاضلاً محدثاً صدوقاً، صاحب كتاب المزار (الحر العاملي، ١٩٨٣: ٢/٢٥٣)

٤. ابن أخيه السيد أبو حامد محي الدين، محمد بن عبد الله بن زهرة الحلبي، فاضل فقيه علامة يروي عنه الحسن بن نما (الحر العاملي، ١٩٨٣: ٢/٢٧٣)

٥. الشيخ محمد بن إدريس الحلي(ت٥٩٨هـ) من أكابر فقهاء الإمامية في عصره، له كتب أهمها: (السرائر)، ويروي عن عدة من كبار علماء عصره كالشيخ أبي علي الطوسي، وجمال الدين ابن رطبة السوراوي، ويروي عنه والسيد شمس الدين فخار بن معد بن فخار الموسوي والشيخ نجيب الدين محمد بن نما الحلي (الحر العاملي، ١٩٨٣: ٢٤٣)

٦. الشيخ الزاهد أبو علي الحسن بن الحسين ابن الحاجب الحلبي (الحر العاملي، ١٩٨٣: ٢/٦٤)**كتبه:** ألف السيد ابن زهرة الحلبي كتباً كثيرة من أبرزها:

١. غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع، وهو أهم كتبه

٢. قبس الأنوار في نصرة العترة الأخيار

٣. مسألة في الرد على المنجمين

٤. مسألة في نفي الرؤية

٥. مسألة في تحريم الفقاع

آراؤه الكلامية: لابد من الإشارة إلى أشهر الآراء الكلامية للسيد ابن زهرة الحلبي؛ لكي نرى مدى تأثيرها على من جاء بعده من الأعلام:

١. إن أول الواجبات هو النظر، والذي يتوصل فيه إلى وجوب المعرفة (الحلبي، ١٤١٨: ١/٢٢)

٢. استند إلى دليل الحدوث على إثبات المحدث (الحلبي، ١٤١٨: ١/٢٤)

٣. إن للمحدِث تعالى صفات ثبوتية هي: القدرة والعلم والحياة والوجود والإدراك والسمع والبصر (الحلبي، ١٤١٨: ١/٢٩)

٤. إن صفة الإدراك والسمع والبصر ترجع للحياة (الحلبي، ١٤١٨: ١/٣٠)

٥. إن إرادته تعالى حادثة لا في محل (الحلبي، ١٤١٨: ١/٤٠)

٦. يجب نفي الصفات الزائدة عنه تعالى كالحاجة والجسمية والحلول، والاتحاد وغيرها (الحلبي، ١٤١٨: ١/٤٦)

٧. إن الله عادل، وقادر على فعل القبيح، ولكنه لا يفعله؛ لعلمه وغناه (الحلبي، ١٤١٨: ١/٧٥)

٨. إن أفعال العباد مستندة إليهم، والكسب باطل (الحلبي، ١٤١٨: ١/٨١)

٩. إن التكليف من الله تعالى حسن؛ لأن فيه تعريضاً للثواب العظيم، ويجب في الدنيا دون الآخرة (الحلبي، ١٤١٨: ١/١٠٦ و٢٦١)

١٠. وجوب بعث الأنبياء نظراً لما فيها من مصالح للعباد لا تصل إلى إدراكها عقولهم (الحلبي، ١٤١٨: ١٢٩/١)

١١. لا بد لكل نبي من معجزة، والمعجزة الخالدة لنبينا محمد (صلى الله عليه وآله) هي القرآن الكريم، ووجه الإعجاز فيه هي الصرفة، ومعناها أن الله تعالى سلب العلوم الضرورية من الناس عند محاولتهم معارضته (الحلبي، ١٤١٨: ١٣٥/١)

١٢. لا بد من وجود إمام في كل عصر، ويجب أن يكون هذا الإمام معصوماً من مطلق الذنوب عمداً وسهواً، ويجب أن يكون أفضل لرعية؛ لقبح تقديم المفضول على الفاضل، والإمام بعد النبي (صلى الله عليه وآله) بلا فصل هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) للنص الصريح (الحلبي، ١٤١٨: ١٥٥/١)

١٣. إن استحقاق الثواب ودوامه ثابت بدليل السمع لا العقل، وأما عقاب الكافر فدائم، ودليله السمع أيضاً (الحلبي، ١٤١٨: ٢٢٨/١)

١٤. إن الشفاعة ثابتة للنبي (صلى الله عليه وآله)؛ لإجماع الأمة على ذلك، وحقيقتها في إسقاط المضار، وليس لزيادة المنافع (الحلبي، ١٤١٨: ٢٤٤/١)

١٥. المراد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل ما أثر في وقوع الواجب وارتفاع القبيح، قولاً كان أو فعلاً، ووجوب بالسمع على الصحيح (الحلبي، ١٤١٨: ٢٥٥/١)وبعد هذه الجولة السريعة في التعرف على آراء السيد ابن زهرة الحلبي يتبين لنا أن آراؤه الكلامية مطابقة تمام المطابقة مع آراء الشريف المرتضى ومدرسته الكلامية، وكأنه تابع لآرائه في نقضه وإبرامه كما هو حال مدرسة حلب التي كانت منذ نشأتها تابعة لمدرسة بغداد الكلامية

المطلب الخامس: قطب الدين الكيدري

هو الشيخ أبو الحسن محمد بن الحسين بن الحسن البيهقي النيسابوري الشهير بـ(قطب الدين الكيدري)، من كبار الإمامية في القرن السادس الهجري **شيوخه:** أخذ الشيخ قطب الكيدري العلم عن ثلة من مشاهير العلماء منهم:

١. الشيخ نصير الدين أبو طالب عبد الله بن حمزة بن عبد الله الطوسي الشارحي المشهدي، فقيه فاضل وجه، يروي عن أبيه، روى عنه عدة من الأعلام منهم المحقق نصير الدين الطوسي ومنتجب الدين بن بابويه (الحر العاملي، ١٩٨٣: ١٦١/٢)، والقطب الكيدري في حدائق الحقائق (الكيدري، ١٤١٦هـ: ٤١٢/١ و٤٠٢/٢)

٢. الشيخ ظهير الدين أبو الفضل محمد ابن الشيخ قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي، سبقت ترجمته

٣. السيد فضل الله الراوندي الحسني، سبقت ترجمته ولم نظفر على تلامذة له، على الرغم من البحث في كتب التراجم **كتبه:** للشيخ قطب الدين الكيدري مصنفات كثير تدل على تبحره وتوغله في العلوم والمعارف الإسلامية، ولعل من أبرزها:

١. حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة

٢. أنوار العقول في أشعار وصي الرسول (عليهما السلام)

٣. الدرر في النحو، ذكره في كتابه حدائق الحقائق

٤. بصائر الأنس بحظائر القدس

٥. لب اللباب

٦. إصباح الشيعة بمصباح الشريعة آراؤه الكلامية: لابد من الإشارة إلى جملة من أشهر آراؤه الكلامية، لنرى مدى تأثيره فيمن جاء بعده:

١. إن أول الواجبات هي معرفة الله تعالى (الكيدري، ١٤١٦هـ: ١٢٤/١)

٢. استند إلى دليل الحدوث في إثبات وجود محدث لها، وهو الله سبحانه وتعالى (الكيدري، ١٤١٦هـ: ٥٢٨/١ و٢٩٤/٢)

٣. أن الله تعالى ليس له مثل، ومن اعتقد أن له مثلاً، فقد عبد غيره (الكيدري، ١٤١٦هـ: ٤٠٨/١ و٢٨٤/٢)

٤. إنه تعالى ليس جسماً، وليس محلاً للحوادث؛ لأنه سبحانه قديم وهذه صفات الحادث (الكيدري، ١٤١٦هـ: ٤٥٢/١ و٦٦٢ و٦٦/٢ و٩٢ و٢٨٩)

٥. أنه تعالى قادر لذاته لا يمتنع عليه شيء من المقدورات (الكيدري، ١٤١٦هـ: ١٣٣/١ و٣٨٦)

٦. التحابط باطل سواء كان بين الطاعة والمعصية، أم بين الثواب والعقاب، وفاقاً لثلة من الأعلام منهم السيد المرتضى، وفيه رد على للمعتزلة (الشريف المرتضى، ١٤٣٠: ١٤٦)

٧. إن الإيمان هو التصديق القلبي، ولا يشتمل على الإقرار باللسان والعمل بالأركان، وهو ما نصره السيد المرتضى (الكيدري، ١٤١٦هـ: ١/٣٧٥ و٢/٣٠٨)ولا بد من الإشارة إلى عدة من الأمور التي امتازت بها آراؤه الكلامية منها: أولاً: التصريح بأن الإمامة أصل من أصول الدين، وأنها واجبة في كل زمان ومكان ما دام التكليف باقياً، وأنه لا يدخل الجنة إلا من عرف الأئمة (عليهم السلام)، والذين ثبتت عصمتهم بالكتاب والسنة (الكيدري، ١٤١٦هـ: ١/٦٤٦ و٢/٥٢ و٦٤٨) ثانياً: الذي يظهر أن الآراء الفلسفية بدأت تدخل إلى الكتب الكلامية عند الإمامية في عصره؛ لذلك نجد قطب الدين الكيدري أشار إلى جملة من المصطلحات الفلسفية كـ(أن ممكن الوجود يحتاج إلى واجب الوجود) و(وأن الحوادث لا بد لها من نهاية تنتهي إليها) (الكيدري، ١٤١٦هـ: ١/١٦٨ و٤٠٩ و٦٥٩)ثالثاً: رفضه لطريقة الاستدلال الأرسطية القائمة على القياس المنطقي كما هو حال متكلمي الإمامية المتقدمين؛ لذلك نجده يستخدم لفظ (قيل) الدالة على التضعيف (الكيدري، ١٤١٦هـ: ٢/٢٨)رابعاً: مخالفته الصريحة لعدة من الآراء الفلسفية إذ رجح عليها الآراء الكلامية عليها إذ قال (أن القديم لا يعرف بذاته، بل بآثاره وأفعاله) (الكيدري، ١٤١٦هـ: ٢/٢٩٦)، و(أن علمه ليس بمتغير زماني) (الكيدري، ١٤١٦هـ: ١/٦٦ و٥٢٠ و٢/٣٣٦)، ورد على رأي الفلاسفة القائل (أن العالم معلول، والمعلول لا ينفك عن العلة، ويزعمون الله تعالى علة العلل) وبين بطلانه (الكيدري، ١٤١٦هـ: ٢/٢٩٠)

المطلب السادس: دليل الحدوث

لا شك في احتدام الصراع بين المتكلمين والفلاسفة منذ تمت عملية ترجمة كتب الفلسفة من لغاتها إلى اللغة العربية وخاصة في عصر المأمون الذي يعد من أبهى العصور الإسلامية على مستوى الفكر الإسلامي، إذ بدأ بعض المتكلمين من الاطلاع على الآراء الفلسفية في محاولة للرد عليها ونقضها، ومنها نشأ الصراع بين الفلاسفة والمتكلمين، ومع توالي السنين استمرت توسعت دائرة الخلاف بين الطرفين، وطالما كانت أنظار المتكلمين نحو الفلاسفة بريبة وشك واتهام لهم بأنهم يحاربون الدين وأنهم فساق لا يؤمنون به ويسعون لهدمه إن استطاعوا، ولعل أخطر ما قام به المتكلمون هي محاولة أبي حامد الغزالي(ت٥٠٥هـ) في كتاب (تهافت الفلاسفة) إذ قام بتكفير فلاسفة الإسلام في مسائل عدة، وكادت هذه المحاولة أن تقضي على الفكر الفلسفي في المشرق الإسلامي، ولكن سقوط الخلافة الإسلامية وظهور الفيلسوف والمتكلم المحقق نصير الدين الطوسي استطاع أن يُعيد للفكر الفلسفي رونقه بعد محاولة أبي حامد الغزالي يقوم الدليل الفلسفي (دليل الإمكان) تقسيم الموجود إلى واجب الوجود وممكن الوجود، وبيانه: أن هناك موجود بالضرورة ، فإن كان واجباً فهو المطلوب، وإن كان ممكناً افتقر إلى مؤثر موجود بالضرورة، فإن كان المؤثر واجباً ، فهو المطلوب، وإن كان ممكناً افتقر إلى مؤثر موجود، فإن كان واجباً فهو المطلوب، وإن كان ممكناً تسلسل أو دار (الحلي، ١٤٢٥هـ: ٣٩٢) ، وادعى الفلاسفة بأن هذا الدليل ، وأنه دليل الصديقين هو أشرف الأدلة على إثبات الله تعالى؛ لأنه استدلال من العلة على المعلول، وهو أشرف من الاستدلال بالمعلول على العلة ، وأن دليل المتكلمين وهو دليل الحدوث لا يتمشى إلا بالرجوع إلى هذا الدليل للوصول إلى نتائج (الحلي، ١٤٢٥هـ: ٣٩٢)، والصحيح أن دليل الحدوث لا يتوقف على دليل الإمكان الذي يتوقف على اثبات مقدمات كثيرة كالقول بأصالة الوجود ووحدة الوجود الحقيقية، فدليل الحدوث بيانه: أن العالم حادث، وكل حادث لابد له من محدث، فإن كان المحدث قديماً فهو المطلوب، وأن كان محدثاً تسلسل أو دار، والتسلسل والدور باطلان (الحلي، ١٤٢٥هـ: ٣٩٢)، فالمقدمة الصغرى فالعالم مشتمل على الحركة والسكون، وهما دليلان على الحدوث والكبرى فطرية عقلية لا خفاء فيها يشهد لها الوجدان بذلك، وهو أقوى البراهين، ولدليل الحدوث ميزة هي شموله لكافة الأشياء سواءُ الأجزاء أم الكل، وهو يدحض دعوى أزلية المادة، وقد اعتمد القرآن الكريم على هذا الدليل ، فقد استدل إبراهيم (عليه السلام) بالأفول والحركة على حدوث الكواكب والقمر والشمس، وعدم قدمها في قوله تعالى:(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)، الأنعام ٧٦/٧٩ أما الروايات الشريفة فمنها: ما روي عن علي(عليه السلام) في إحدى خطبه إذ قال:(الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لاَ تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، وَلاَ تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ، وَلاَ تَرَاهُ النَّوَاظِرُ، وَلاَ تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ، الدَّالِّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وجُودِهِ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لاَ شَبَهَ لَهُ، الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وَقَامَ بِالْقِسطِ فِي خَلْقِهِ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ، مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ، وَبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ) (الراوندي، ١٤٠٦هـ: ٢/٤٠٩)، أي فاستدل بحدوث الأشياء على أنه قديم أزلي لا بداية لوجوده وأنه واجب الوجود لذاته وقال في خطبة أخرى، وهي المعروفة بخطبة الأشباح:(الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ امْتَثَلَهُ ، وَلاَ مِقْدَارٍ احْتَذَى عَلَيْهِ ، مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ ، وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ ، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ ، وَاعْتِرَافِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمِسَاكِ قُوَّتِهِ ، مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ ، فَظَهَرَتِ الْبَدَائِعُ الَّتِي أَحْدَثَهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ ، وَأَعْلاَمُ

حِكْمَتِهِ ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلاً عَلَيْهِ ؛ وَإِنْ كَانَ خَلْقاً صَامِتاً ، فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ ، وَدَلاَلَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَة) الراوندي، ١٤٠٦هـ: ٣٧٦/١)، ففي هذه الخطبة يشير الإمام (عليه السلام) إلى أن الله تعالى إن آثار الخلق ودقة نظامه دليل كاشف على عظمة الصانع وقدرته ما روي عن أبي عبد الله (عليه السلام): عندما سأله الزنديق: ما الدليل على حدث الأجسام؟ فقال (عليه السلام): إنّي ما وجدت شيئاً صغيراً ولا كبيراً إلّا وإذا ضمّ إليه مثله صار أكبر، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى ولو كان قديماً ما زال ولا حال؛ لأنّ الذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل، فيكون بوجوده بعد عدمه دخولٌ في الحدث، وفي كونه في الأزل دخوله في العدم، ولن تجتمع صفة الأزل والعدم والحدوث والقدم في شيء واحد....) (الكليني، ١٣٨٨ش: ٧٧/١)

الخاتمة وأهم النتائج

بعد هذه الجولة السريعة في بيان أبرز متكلمي الإمامية خلال القرن السادس الهجري توصل الباحث إلى نتائج أهمها:

١. بطلان دعوى الفلاسفة وعلماء الكلام حول أشرفية دليل الإمكان على باقي الأدلة الكلامية

٢. إن دليل الإمكان لا يوجد له أي نص لا في الكتاب ولا في أحاديث المعصومين (عليهم السلام)، بل ولا وجود لأي دليل شرعي أو لغوي على جواز تسمية الحق سبحانه وتعالى بـ(واجب الوجود)

٣. أدى الاعتماد على دليل الإمكان في علم الكلام الإسلامي إلى ظهور إشكالات فكرية قبل بها بعض المتكلمين كنظرية القدم الزماني للعالم والمعاد الروحاني وغيرها، وإلى قلة الاهتمام بالعقائد الرئيسة إذ أصبح الرد على دعاوى لفلاسفة هي الشغل الشاغل له

٤. إن دليل الحدوث توجد له شواهد في القرآن الكريم وأحاديث المعصومين (عليهم السلام)

٥. إن متكلمي الإسلام كان يعلمون بدليل الإمكان، ويرفضونه لأسباب فكرية بحتة

٦. يعد السيد سديد الدين الحمصي أبرز متكلمي الإمامية في القرن السادس الهجري، وامتاز بمنهجه النقدي للآراء الكلامية والفلسفية

٧. شهد القرن السادس الهجري بداية تسرب آراء الفلاسفة إلى الكتب الكلامية عند الإمامية

٨. لا ريب من سيطرة آراء الشريف المرتضى على علم الكلام الإسلامي منذ بروزه إلى ظهور المحقق الطوسي إذ بدأ تأثيرها يضعف بعض الشيء

٩. تبنى المحقق الطوسي دليل الإمكان؛ ورفض دليل الحدوث لكونه غير منتج بذاته، بل يتوقف على الأول، لكي تصح نتائجه

مصادر البحث:

القرآن الكريم

١. أبو جعفر النيسابوري، شيخ الحكماء قطب الدين محمد بن الحسن المقرئ(١٤٣٢هـ) التعليق في علم الكلام، تحقيق الدكتور محمود يزدي مطلق(الفاضل)، ط٢، قسم الدراسات الفلسفية والكلامية الإسلامية، مشهد

٢. ابن زهرة الحلبي، السيد علي بن حمزة (١٤١٨هـ) غنية النزوع، تحقيق الشيخ إبراهيم البهادري، ط١، مؤسسة الإمام الصادق، قم

٣. ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني(١٤١٦هـ)، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق محمد الكاظم، ط١، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران

٤. الأمين، السيد محسن(١٩٨٣م)، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف، بيروت

٥. البيهقي، علي بن زيد الأنصاري(١٤٢٢هـ)، معارج نهج البلاغة، تحقيق أسعد الطيب، ط١، بوستان كتاب، قم

٦. الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن(١٩٨٣م)، أمل الآمل، تحقيق السيد أحمد الحسيني، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت

٧. الحلي، الشيخ أبي عبد الله أحمد بن محمد بن إدريس العجلي(١٤٢٩هـ)، السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، تحقيق السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان، ط١، دليل ما، قم

٨. الحمصي، الشيخ سديد الدين محمود الرازي(١٤٣٥هـ)، المنقذ من التقليد، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم

٩. الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي(١٩٩٢م)، البحر المحيط في أصول الفقه: تحقيق عبد الله عبد القادر العاني، ط٢، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويتية

١٠. السيد المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي(١٩٥٤م)، أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة

١١. الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي(١٩٨٩م)، تنزيه الأنبياء، ط٢، دار الأضواء، بيروت
١٢. الشريف المرتضى، علم الهدى علي بن الحسين الموسوي البغدادي(١٤٣١هـ)، الذخيرة في علم الكلام، تحقيق السيد أحمد الحسيني، ط٣، مؤسسة النشر الإسلامي، قم
١٣. الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي(١٤٣٠هـ)، شرح جمل العلم والعمل، تصحيح وتعليق الشيخ يعقوب الجعفري المراغي، ط٣، دار الأسوة، طهران
١٤. الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي(١٤٤١هـ)، جواب المسائل الطرابلسيات الأولى، تحقيق عدة من المحققين، ط١، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد
١٥. الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي(١٣٨١ش)، الملخص في أصول الدين، تحقيق محمد رضا الأنصاري القمي، ط١، مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، طهران
١٦. الشيخ المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم العكبري البغدادي(٢٠٠٩م)، أوائل المقالات، ط١، مؤسسة التاريخ العربي،
١٧. الصريفيني، إبراهيم بن محمد بن الأزهر(١٩٨٩م)، المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ط١،
١٨. عكار، م. تحسين قاسم(٢٠٢٤م)، نقد الآراء الكلامية عند سديد الدين الحمصي، مجلة نسق، مجلد ٤٢، عدد ٩، ٥٦٠-٥٨٥
١٩. العلامة الحلي(١٤٢٥هـ)، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تحقيق الشيخ حسن حسن زاده الآملي، ط١٠، مؤسسة النشر الإسلامي، قم
٢٠. قطب الدين الراوندي، الشيخ الأقدم أبو الحسين سعيد بن هبة الله(١٤٠٩هـ)، الخرائج والجرائح، تحقيق السيد محمد باقر نجل المرتضى الموحد الأبطحي الأصفهاني، ط١، مؤسسة الإمام المهدي، قم
٢١. قطب الدين الراوندي، أبو الحسين سعيد بن هبة الله(٢٠١٠م)، ضياء الشهاب في شرح شهاب الأخبار، تحقيق مهدي سليماني الآشتياني، ط١، دار الحديث، بيروت
٢٢. قطب الدين الراوندي، الفقيه المحدث أبو الحسين سعيد بن هبة الله (١٤٠٦هـ)، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق السيد عبد اللطيف الكوهكمري، ط بلا، مكتبة آية الله المرعشي العامة، قم
٢٣. قطب الدين الراوندي، الشيخ أبي الحسين سعيد بن هبة الله (١٤٣١هـ)، لب اللباب، تحقيق السيد الحسين الجعفري الزنجاني، ط١، آل العبا،
٢٤. قطب الدين الكيدري، الشيخ أبي محمد بن الحسين بن الحسن البيهقي(١٤١٦هـ)، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة، تحقيق عزيز الله العطاردي، ط١، مؤسسة نهج البلاغة، قم
٢٥. قطب الدين النيسابوري، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن المقرئ(١٤١٤هـ)، الحدود، تحقيق الدكتور محمود يزدي مطلق(الفاضل)، ط١، مؤسسة الإمام الصادق، قم
٢٦. الكليني، ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي(١٣٨٣ش)، الكافي، ط٧، دار الكتب الإسلامية، قم
٢٧. الشيخ المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم العكبري البغدادي(٢٠٠٩م)، أوائل المقالات، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت
٢٨. منتجب الدين، الشيخ أبو الحسن علي بن عبيد الله ابن بابويه(١٤٠٤هـ)، فهرست أسماء علماء الشيعة ومصنفيهم، تحقيق عبد العزيز الطباطبائي، ط١، مجمع الذخائر الإسلامية، قم

Research sources

The Holy Quran
1. Abu Jafar al-naisaburi, Sheikh of the wise Qutb al-Din Muhammad ibn Al-Hasan Al-Maqar (1432 Ah) commentary on the science of speech, investigation of Dr. Mahmoud Yazdi Mutlaq (virtuous), Vol. 2, Department of Islamic philosophical and speech studies, Mashhad
2. Ibn Zahra al-Halabi, Sayyid Ali bin Hamza (1418 Ah) rich tendencies, investigation of Sheikh Ibrahim al-bahadri, i1, Imam Sadiq Foundation, Qom
3. Ibn al-fauti, Kamal al-Din Abu al-Fadl Abdul-Razzaq Ibn Ahmad Al-Shaybani (1416 Ah), literature complex in the lexicon of titles, investigation of Mohammad Al-Kazim, 1st floor, Ministry of culture and
4. Al-Amin, Sayyid Mohsen (1983), Shia notables, the investigation of Hassan Al-Amin, Dar Al-Muqaddimah,
5. Al-Bayhaqi, Ali bin Zaid Al-Ansari (1422 Ah), Ma'arij NAHJ Al-balagha, the investigation of Asaad Al-Tayeb, Vol. 1, Bustan Kitab, Qom

6. Al-Hurr Al-Ameli, Sheikh Mohammed bin Al-Hassan (1983), Amal Al-Amal, the investigation of Mr. Ahmed al-Husseini, Floor 2, al-Wafa Foundation, Beirut
7. Al-Hilli, Sheikh Abi Abdullah Ahmad Bin Muhammad Bin Idris al-ajli(1429 ah), Al-surayr al-Hawi for the liberation of fatwas, the investigation of Sayyid Muhammad Mahdi Sayyid Hasan al-Mousawi Al-khorsan, Vol. 1, some evidence, Qom
8. Al-Homsi, Sheikh Saeed Al-Din Mahmoud Al-Razi (1435 ah), the savior of Tradition, Vol. 2, Islamic publishing Foundation, Qom
9. Al-Zarkashi, Badr al-Din Muhammad Bin Bahadur bin Abdullah Al-Shafi'i (1992), the surrounding sea in the origins of jurisprudence: the investigation of Abdullah Abdul Qadir al-Ani, Vol. 2, Ministry of Awqaf and Islamic affairs of Kuwait
10. Al-Sayyid al-Murtada, Ali bin al-Hussein al-Mousawi Al-Alawi (1954), Amali Al-Murtada (spinning benefits and rolling necklaces), investigation of Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, t. 1, the House of revival of Arabic books, Cairo
11. Sharif Al-Murtada, Abu Al-Qasim Ali bin al-Hussein al-Mousawi(1989), the tribute of the prophets, i2, Dar Al-Adwa, Beirut
12. Al-Sharif Al-Murtada, the knowledge of Al-Huda Ali ibn al-Husayn al-Mousawi al-Baghdadi(1431 Ah), ammunition in the science of speech, the investigation of Sayyid Ahmad al-Husayni, i3, Islamic publishing
13. Sharif Al-Mortaza, Abu Al-Qasim Ali ibn al-Hussein al-Mousavi (1430 Ah), explanation of the sentences of Science and work, correction and commentary of Sheikh Yaqub Jafari al-Maraghi, Vol. 3, Dar Al-ASWA,
14. Sharif Al-Murtada, Abu Al-Qasim Ali ibn al-Husayn al-Musawi (1441 ah), the answer to the first tripolitanian questions, the investigation of several investigators, Vol. 1, Islamic Research Complex, Mashhad
15. Sharif Al-Murtaza, Abu Al-Qasim Ali ibn al-Husayn al-Mousavi (1381), abstract on the origins of religion, investigation of Mohammad Reza Ansari Al-Qomi, 1st floor, library of the Islamic Shura Council, Tehran
16. Sheikh Mufid, Abu Abdullah Muhammad ibn Muhammad ibn al-Nu'man, son of the teacher Al-Akbari al-Baghdadi(2009), early articles, Vol. 1, Arab History Foundation, Beirut
17. Al-srifini, Ibrahim bin Mohammed bin Al-Azhar (1989), selected from the context of the history of Nishapur, investigation of Mohammed Ahmed Abdul Aziz, Vol. 1, House of scientific books, Beirut
18. Akkar, M. Tahsin Qasim(2024), criticism of the verbal opinions of Sayyid al-Din al-Homsi, Nasaq Magazine, Vol. 42, No. 9, 560-585
19. Al-Allama al-Hilli (1425 Ah), revealing what is meant in explaining the abstraction of belief, the investigation of Sheikh Hassan Hassanzadeh Al-Amili, Vol. 10, Islamic publishing Foundation, Qom
20. Qutb al-Din al-rawandi, senior Sheikh Abu al-Hussein said Bin Hibat Allah(1409 Ah), graduates and slides, investigation of Sayyid Muhammad Baqir son of Murtaza Al-muwahid Abtahi Isfahani, i1, Imam Mahdi
21. Qutb al-Din al-rawandi, Abu al-Hussein said Bin Hibat Allah (2010), Dia al-Shihab in explaining the Shihab news, Mahdi Soleimani Al-Ashtiani investigation, 1st floor, Dar Al-Hadith, Beirut
22. Qutb al-Din al-rawandi, the modernist jurist Abu al-Hussein said Ibn Hibat Allah (1406 ah), the curriculum of ingenuity in explaining the approach of eloquence, the investigation of Mr. Abdul Latif al-kuhkmari, I-no, Ayatollah Al-Marashi Public Library, Qom
23. Qutb al-Din al-rawandi, Sheikh Abu al-Hussein said Bin Hibat Allah (1431 ah), the core of the core, the investigation of Sayyid al-Hussein Ja'fari Al-Zanjani, i1, Al-ABA, Qom
24. Qutb al-Din al-kidri, Sheikh Abi Muhammad Bin Al-Hussein bin Al-Hassan al-Bayhaqi (1416 Ah), gardens of facts in explaining the approach of rhetoric, investigation of Aziz Allah al-Attardi, Vol. 1, the foundation of the approach of rhetoric, Qom
25. Qutb al-Din al-naisaburi, Sheikh Abu Jafar Muhammad Bin Al-Hassan al-muqarah (1414 Ah), Hadood, investigation of Dr. Mahmoud Yazdi Mutlaq (virtuous), i1, Imam Sadiq Foundation, Qom
26. Al-kulaini, the trust of Islam Abu Jafar Muhammad ibn ya'qub Ibn Ishaq Al-Razi (1383), al-Kafi, 7th floor,
27. Sheikh Al-Mufid, Abu Abdullah Muhammad Bin Muhammad bin al-Nu'man, son of the teacher Al-Akbari al-Baghdadi(2009), early articles, Vol. 1, Arab History Foundation, Beirut
٢٨ Muntajib al-Din, Sheikh Abu al-Hassan Ali ibn Ubayd Allah ibn babawayh (1404 Ah), index of the names of Shia scholars and their classifiers, investigation of Abdul Aziz Al-Tabatabai, i1, Islamic munitions complex,

هوامش البحث

* الكون: عبارة عن حصول الجسم في الحيز، وهو جنس يندرج تحته أربعة أمور: الحركة والسكون والاجتماع والافتراق